أما فيما يتعلق بالقتال ان هم خرجوا من ديارهم فى سبيل الله ، فنرى القرآن الكريم يطلب من المؤمنين أن يتئدوا ويتبينوا فى وقوفهم على معالم الأمور قبل اتخاذ أى قرار ، ان هم رحلـــوا وخرجوا من ديارهم فى سبيل الله مستهدفين رد الاعتداء ، ودفع الظلم الذى وقع عليهم • يقول تعالى :

« يا أيها الذين آمنوا اذا ضربتم فى سبيل فتبينوا ولا تقولوا لمن القى إليكم السلام لست مؤمنا تبتغون عرض الحياة الدنيا فعند الله مغانم كثيرة كذلك كنتم من قبل فمن الله عليكم فتبينوا إن الله كان بما تعمـلون خبيرا »(١) •

ففى هـذه الآية طلب الله من المؤمنين أن لا يتخـذوا من الدعـوة الى الله ـ وهى غاية شريفة ـ سبيلا الى الدنيا ومغانمها ، فيبيحـون لأنفسهم أن يحصلوا متاعا ماديا ، وأن يحـولوا بذلك الهـدف الى وسيلة ، الوسيلة هـدف(٢) ، وأعلموا أنكم كنتم على الكفر قبل ذلك وهـداكم الله ، فتبينوا امر الذين تلقونهم ، وان الله عليم علما دقيقا لا يخفى عليه شىء ، وأنه محاسبكم بمقتضى علمه(٣) •

ان دعوة الحـق هى دعوة الاسلام ، وهى بذلك تعنى السلام لفظـا ومعنى ، تعنيه ايمانا واعتقادا ، تعنيه سلوكا وتهـذيبا ، تعنيه التزاما بالعهود والمواثيق ، تعنيه عـدم الاضرار بالغير ، تعنيه الأمن والهـدوء والاستقرار •

٥ ـ الأمانة فى تبليغ دعوة الحق وعرض مبادئها :

أعنى بالأمانة هنا أمانة الداعى فى تبليغ دعوة الحـق ، بحيث يتصف بها حين يبلغ الرسالة التى تعهد بتبليغها ونشرها ، فلا ينقص

---

(١) سورة النساء الآية رقم ٩٤ .
(٢) أنظر القرآن الكريم يقول ـ د. محمد البهى ـ ص ٨٧ .
(٣) المنتخب فى تفسير القـرآن الـكريم ـ المجلس الاعلى للشئون الاسـلامية ـ ص ١٢٦ .

فيها كلمة أو يزيد ، فضلا عن أن يغض الطرف عن مبدأ فيها لم يبلغه ، أو عن ان يستبدله حتى يصبح نشازا فيها . ولقد بين الله ـ عز وجل ـ لنا ما فعله السابقون ـ من أهل الكتاب ـ من تغيير وتبديل فقال سبحانه « **فويل للذين يكتبون الكتاب بايديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا فويل لهم مما كتبت ايديهم وويل لهم يكسبون** »(٤) . ونبه الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ الى ذلك فقال له : « **وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين لا يرجون لقاءنا ائت بقرآن غير هذا أو بدله قل ما يكون لى أن أبدله من تلقاء نفسى إن اتبع إلا ما يوحى إلى انى أخاف أن عصيت ربى عذاب يوم عظيم** »(٥) . فالذين لا يرجون لقاء الله وهم الذين ذكرهم الله ـ عز وجل ـ فى آية أخرى سابقة بقوله : « **إن الذين لا يرجون لقاءنا ورضوا بالحياة الدنيا واطمانوا بها والذين هم عن آياتنا غافلون ، اولئك ماواهم النار بما كانوا يكسبون** »(٦) ، أنهم أناس كفروا بلقاء الله يوم القيامة ، ولا يرجون فى لقائه شيئا ورضوا بهذه الحياة الدنيا ، واطمانت اليها نفوسهم ، قال الحسن : والله ما زينوها ولا رفعوها حتى رضوا بها وهم غافلون عن آيات الله الكونية والشرعية(٧) . فاذا ما سئلوا عن علة هذا الاتجاه وعبادتهم من دون الله ما لايضر ولا ينفع قالوا : « هؤلاء شفعاؤنا عند الله(٨) » وقالوا : « ما نعبد هؤلاء لأنهم خالقون ، انما نعبدهم ليقربونا الى الله زلفى ، لكن اذا ما تليت عليهم آيات الله التى تأخذ بايديهم الى الكمال الانسانى ، وتأمرهم بترك ما هم فيه من شهوات ، أعرضوا

---

(١) سورة البقرة الآية رقم ٧٩ .

(٢) سورة يونس الآية رقم ١٥ .

(٣) سورة يونس الآيتان رقم ٧ ، ٨ .

(٤) تفسير القرآن العظيم ـ ابن كثير ـ جـ ٢ ص ٤٠٨ .

(٥) سورة يونس من الآية رقم ١٨ . وانظر فى ذلك تفسير القرآن العظيم ـ ابن كثير ـ جـ ٢ ص ٤١٢ ، والمنتخب فى تفسير القرآن الكريم سورة الزمر ص ٦٨٣ .

عنها وقالوا : « ائت بقرآن غير هـذا أو بدله »(١) ، وذلك لكى يوافق هـواهم ، ويبيح لهم ما رضوا به فى حياتهم الدنيا .

ولكى يكون الدفاع قـويا ، والحجة بالغة ، كلف النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ أن يقول فى مواجهة هـذه المحاولة : « ان اتبـع الا ما يوحى الى »(٢) ، ليؤكد لهم أن « الحـق » لا يتغير ولا يقبـل التبديل بحال ، كما ان الداعى اليه لا يملك رأيا مستقلا (بجواره يضعه اليه) ، بل هـو تكليف ملتزم باتباعه لا تغيير فيه ولا تبديل . بذلك كان الرد قـويا محصوما لا يقبل مساومه ، قال تعالى : « **قـل ما يكون لى أن أبدله من تلقاء نفسى إن أتبع الا ما يوحى إلى انى أخاف إن عصيت ربى عـذاب يوم عظيم** »(٣) .

وهنا يمكن ان نقول : أن الحـق واحـد وثابت لا يقبل التجزئة كما لا يقبل التغيير ولا التبديل ، وأن الداعى اليه لا يحق لـه التراخى فى الاعـلان عنه .

٦ ـ الاحسان الى ما يسىء لدعـوة الحـق :

يقول الله تعالى :

« **ادع الى سبيك ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى أحسن ان ربك هـو اعلم بمن ضل عن سبيله وهو اعلم بالمهتدين ، وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ولئن صبرتم لهو خير للصابرين ، واصبر وما صبرك إلا بالله ولا تحزن عليهم ولاتك فى ضيق مما يمكرون ، ان الله مـع الذين اتقـوا والذين هم محسنون** »(٤) .

ويقـول سـبحانه :

« **ادفع بالتى هى احسن السيئة نحن أعلم بما يصفون** »(٥) .

---

(١) سورة يونس من الآية رقم ١٥ ، وانظر المنتخب فى تفسير القرآن ص ٦٨٣ .
(٢) سورة يونس من الآية رقم ١٥ .
(٣) سورة يونس من الآية رقم ١٥ .
(٤) سورة النحل الآيات رقم ١٢٥ ـ ١٢٨ .
(٥) سورة المؤمنون الآية رقم ٩٦ .

اذا كان واجب الداعى الى الحق أن يدعو بالحكمة ، والموعظة الحسنة ، وأن يجادل بالتى هى احسن ، فانه من الواجب عليه اذا قوبلت دعوته بالاهانة والاساءة والرفض ، ان يسلك مسلك الاحسان لمن أساء اليه ، ولا يقابله بالمثل ، ذلك لأن هذا هو الهدف الذى من خلاله يأتى المراد ، فدفع السيئة بالسيئة فى مقام الدعوة الى الحق ، ينقص من قيمة الحق الذى يدعو اليه ، وينقص كذلك من منزلة القائم بدعوة الحق . اما انه ينقص من قيمة الحق ذاته ، فلأن الحق يستحيل عليه أن يكون أساءة أو اهانة أو غلظة فى القول ، أو مجادلة بالاساءة .

واما أنه ينقص من منزلة الداعى الى الحق والقائم به ، فانه لو رد بالمثل وقابل الغلظة بالغلظة ، والاهانة بالاهانة ، فانه لا يكون بذلك قدوة طيبة وصالحة لما يدعو اليه من الحق ، ولا يكون مؤهلا لحمل هذه الدعوة والقيام بها ، وبالتالى لا تلقى دعوته قبولا من غيره .

والمتامل فى آيات القرآن الكريم ، يرى أسلوب الاحسان واضحا من خلال القائم بأمر الدعوة ، وذلك لكى يمتثل الداعى ويحرص على سلامة اسلوبه حين مخاطبة غيره بأمر الدعوة ، يقول الله تعالى : « **أفغير دين الله يبغون وله أسلم من فى السموات والأرض طوعا وكرها واليه يرجعون ، قل آمنا بالله وما انزل علينا وما أنزل على إبراهيم وإسماعيل ويعقوب والأسباط وما أوتى موسى وعيسى والنبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون** »(١) .

ويقول سبحانه :

« **ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتى هى أحسن إلا الذين ظلموا منهم وقولوا آمنا بالذى أنزل الينا وانزل اليكم والهنا والهكم واحد ونحن له مسلمون** »(٢) .

---

(١) سورة آل عمران الآيتان رقم ٨٣ ، ٨٤ .
(٢) سورة العنكبوت الآية رقم ٤٦ .

بهذا المقصد ينبهنا المولى ـ عز وجل ـ ان الجدال والمناقشة والمحاورة ، يجب أن لا تتجاوز الدائرة التى تحدد موضوع دعوة الحق ، وهى دائرة التهذيب ودفع الاساءة فى المعارضه باسلوب كريم حسن ، وهذا يعد من مقاصد الدعوة التى جاء من اجلها النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال تعالى :

« فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لا نفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم فى الأمر فاذا عزمت فتوكل على الله ان الله يحب المتوكلين »(١) .

٧ ـ وجوب عرض الدعوة على المخالفين ، رغم العلم برفضها مسبقا :

قد يسلك اصحاب الدعوة الى الحق مسلك الابتعاد عن عرضها بين أيد المخالفين والمعارضين خشية المواجهة بالرفض ، لكن الحرص على الحق ، والأمل القوى فى نشره ، وفى قبول النفوس البشرية له ولو على خطوات ومراحل ، يدفع صاحب الدعوة على ان يواجه به المعاندين والمعارضين ، لأن معارضه الانسان للحق قد تضعف ، فيستجيب بعد ذلك له ، بعد أن يراجع مضمون هذه الدعوة بينه وبين نفسه . ذلك لأن طبيعة الانسان ليست طبيعة واحدة ، وانما هى طبيعة مزدوجة ، تقوم على اليأس والأمل ، وعلى الخير والشر ، فهى لا تعرف اليأس وحده ولا الألم وحده .

من أجل ذلك أمر الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ بتبديد ظلام اليأس أمام المذنبين واحياء الأمل فى نفوسهم ، يقول تعالى :

« قل يا عبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا انه هو الغفور الرحيم ، وأنيبوا إلى ربكم وأسلموا له من قبل أن يأتيكم العذاب ثم لا تنصرون ، واتبعوا أحسن ما أنزل إليكم من ربكم من قبل ان يأتيكم العذاب بغتة وأنتم لا تشعرون »(٢) .

---

(١) سورة آل عمران الآية رقم ١٥٩ .
(٢) سورة الزمر الآيات رقم ٥٣ ـ ٥٥ .

ولا جرم بان معاودة الدعوة للمنكرين الجاحدين مرة أخرى دليل على ان الحق لا يضيق ذرعا بمعارضته ، ودليل آخر على ان هدفه الانسانية وتحقيق مستواها فى أكبر عدد من الناس بغض النظر عما يعترض طريقه من عقبات .

ولو لم تكن هذه المعاودة لدعوة الحق مع المعارضين لكان معناها : أنها تؤثر قوما على قوم وهذا غير مراد ، لأن الاهتمام بالناس جميعا هو الهدف والغاية ، الذى قامت من أجله دعوة الحق . وبهذا يمكن أن يقال ان الموقف الذى يجب أن يتخذ ازاء تجاه المعاندين لدعوة الحق هو :

(أ) المواجهة بمضمون الدعوة .

(ب) اعطاؤهم الفرصة لمواجهتها .

هذا السبيل فى مواجهة المنكرين المعاندين هو سبيل الأنبياء السابقين الذين أرسلوا برسالة الله الى الناس على هذه البسيطة . اذ أمر كل الأنبياء والرسل بمعاودة الدعوة على المعارضين ، رغم الاستهزاء بهم : « وكم أرسلنا من نبى فى الأولين وما يأتيهم من نبى الا كانوا به يستهزئون »(١) ، والهدف من ذلك أمران :

تسجيل الرفض عليهم للانتقام منهم فى هذه الدنيا بسبب هذا الرفض ، مهما كانت قوتهم ، بحيث يكون افناؤهم مثلا فى التاريخ يعتبر به ، قال تعالى : « **فأهلكنا أشد منهم بطشا ومضى مثل الأولين** »(٢) ، وقال سبحانه :

« **أفلم يسيروا فى الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا أكثر منهم وأشد قوة وآثارا فى الأرض فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون ، فلما جاءتهم رسلهم بالبينات فرحوا بما عندهم من**

---

(١) سورة الزخرف الآيتان رقم ٦ ، ٧ .

(٢) سورة الزخرف الآية رقم ٨ .

العلم وحاق بهم ما كانوا به يستهزءون ، فلما رأوا بأسنا قالوا آمنا بالله وحـده وكفرنا بمـا كنا به مشركين ، فلم يك ينفعهم إيمـانهم لمـا رأوا بأسنا سنت الله التى قـد خلت فى عبـاده وخسر هنـالك الكافـرون »(١) .

الهـدف الثانى : أنه لا يكفى المؤمن بدعوة الحق أن يكون مؤمنا بالحق فقط ، بل عليه أن يسعى لتمهيد السبيل اليه بالدعوة له ، فالمؤمن بالحق يجب أن يكون أقـوى من الرافض لـه ، وقوته تكون فى المواجهة والاصرار عى اعلان ايمانه بالدعوة اليه ، وليس فى الهرب من مواجهة المعارضين لـه .

واذا كان هـذا هو موقف القرآن الكريم من أمر دعوة الحـق ، فسياسة الأمة فى الاسلام يجب أن تكون دائما بجانب الحق ، مهمـا اشتد جانب المعارضين لـه ، وقوى بطشهم فى المجتمع الدولى .

---

(١) سورة غافر الآيات رقم ٨٢ ـ ٨٥ .

ثانيا : القـائم بأمر الدعـوة

١ ــ الداعى الى الله بشر فضل بالحـق :

لا يجـد الداعى ــ الى الله تعالى ــ الأسوة الحسنة الا من خلال ذات الرسـول ــ صلى الله عليـه وسلم ــ ، وكل من تمسك به من الصحابة والتابعين وغيرهم ، ذلك أنهم انتصروا على أنفسهم ، فتمسكوا بدعـوة الحق ، وصاروا بالحق أقـوياء ، قال تعالى :

« محمد رسول الله والذين معـه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعـا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا سيماهم فى وجوههم من أثر السجود ذلك مثلهم فى التوراة ومثلهم فى الانجيل كزرع أخرج شطئه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجرا عظيمـا »(١) .

وقـال سـبحانه :

« إلا تنصروه فقـد نصره الله إذ أخرجه الذين كفروا ثانى اثنين إذ هما فى الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا فأنزل الله سكينته عليه وأيده بجنود لم تروها وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هى العليا والله عزيز حكيم »(٢) .

بهـذا البيان القرآنى نجـد أن : التقرب من الحـق قـوة ، والتمسك به عزة ورفعة ونصرة ، وأن المؤمن للمؤمن كالبنيان يشـد بعضه بعضا ، وامته ــ أى أمة الحـق ــ حـق لها أن تكون خير أمة : **« كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله »(٣) ،** لكن مع كل هـذا نرى الحق ــ سبحانه ــ قـد

---

(١) سورة الفتح الآية رقم ٢٩ .
(٢) سورة التوبة الآية رقم ٤٠ .
(٣) سورة آل عمران من الآية رقم ١١٠ .

خاطب نبيه الخاتم ـ صلى الله عليه وسلم ـ كصاحب دعوة الى الحق بقوله : « **قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلى أنما إلهكم إله واحد فمن كان يرجوا لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا** »(١) .

فالرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ وهو صاحب الدعوة الى الحق ، طلب اليه القرآن الكريم كى يكون واضحا من أول الأمر ان يعلن ويؤكد فيما يعلن أنه ـ عليه الصلاة والسلام ـ انسان وليس بملك ، خصه الله بالوحى المعصوم ، وحفه بالعناية والحفظ ، ومع ذلك فهو لا يعلو فوق مستوى الانسانية ، ولا يخرج عن مقام العبودية لله ـ عز وجل ـ اذ كل ما له هو أن يتبع فى التبليغ ما يوحى اليه من الله ـ عز وجل ـ فهو مبلغ فقط ، وامين فيما يبلغه من الوحى لا يخرج عنه بحال ، قال تعالى : « **قل لا أقول لكم عندى خزائن الله ولا أعلم الغيب ولا أقول لكم إنى ملك إن أتبع إلا ما يوحى إلى قل هل يستوى الأعمى والبصير أفلا تتفكرون** »(٢) . وذلك حتى لا يصل بمكانه الشريف عند ربه ـ سبحانه ـ الى مقام الألوهية ، فيستحق العبادة مع الله ـ سبحانه ـ وهذا ما لا يجوز فى حقه ـ صلى الله عليه وسلم ـ .

واذا كانت رسالته ـ صلى الله عليه وسلم ـ هى اتباع ما يوحى اليه فى التبليغ والدعوة له ، فهو بذلك قد تجرد عن أى هدف آخر ، يحمله على الخروج عن رسالته ، واذا حرص على هذا التجرد يكون قد تفوق فى مستواه الانسانى ، وأصبح ذا شأن عظيم ، ولكنه مع ذلك لا يخرج عن طبيعه الانسان .

فالانسان انسان يرتفع فى مستوى الانسانية وينخفض فيه ، وسموه وارتفاعه ذاتى فيه ، يميزه على غيره ـ من الكائنات الأخرى ـ ، بأنه توفرت له من الخصائص والصفات ما تؤهله الى نجاحه فى أمر الدعوة أكثر من غيره ، هذه الصفات تتمثل فى قوة الصبر ، والايمان ،

---

(١) سورة الكهف الآية رقم ١١٠ .
(٢) سورة الانعام الآية رقم ٥٠ .

والثبات ، وعـدم التردد ، فاذا ما اكتسبها الانسان وتخلق بها ، ارتفع في مستوى انسانيته وفضل بالحق وعرف من خلاله .

٢ ــ صاحب دعوة الحق يتوجه وجهة واحـدة :

ممـا لا شك فيه أن دعوة الحق ليست نداء لمبادىء ، كما أنهـا ليست توضيحا للقيم والمثل التى يقوم عليها الحق ، أو يتكون منها :

وانما هى مجاهـدة نفسية لصاحب الدعوة وترويض لسلوكه كى يستقيم هـذا السلو ك ، يقول الله تعالى : « **ونفس وما سواها ، فالهمها فجورها وتقواها ، قد افلح من زكاها وقد خاب من دساها** »(١) ، ويقول الامام البوصيرى فى ذلك :

والنفس كالطفل ان تهمله شب على ... حب الرضاع وان تفطمـه ينفطم

فخالف النفس والشيطان واعصهما ... وان هما محضاك النصح فاتهم(٢)

فصاحب الرسالة اذا هيمنت رسالته على قلبـه خضعت غرائزه ودوافعه جميعها لرسالته ، وتوجه بذلك وجهة واحـدة ، فهو وان كان يغضب ويخاف ، ويحب أبنـاءه ، ويجمع المـال ويدخره ويستعلى ويتواضع ، لكنه بعـد عـذه الوجهة صار غضبه فى سبيل رسالته ، وخـوفه من اجلها ، وحبه لأبنائه اذا أعانوه على حمل رسالته ، وجمعه المـال لينفقه فى سبيل رسـالته ، واستعلائه على أعـداء رسالته ، وتواضعه لأصحابها .

وبكلمة واحـدة أصبحت قـوى النفس ودوافعها جميعها جنودا طيعة خاضعة لقيادة واحـدة ، وهـذا ما يطلق عليه ويسمى بوحـدة النفس وخلوها من التنازع الداخلى ، وسلامتها من انواع التصـارع النفسى(٣) .

---

(١) سورة الشمس الآيات رقم ٧ ــ ١٠ .
(٢) بردة المديح ــ الامام البوصيرى ــ
(٣) انظر : الشخصية السوية ــ د. سيد عبد الحميد مرسى ص ١٩٢ أسلوب القرآن فى علاج النفس .

وفى مثل هـذه الحال يندفع صاحب الرسالة الى غايته أقـوى اندفاع ، لا يعـوقه صراع داخلى ، وبذلك يكون أقوى انسان تعرفه البشرية . فمجاهـدة النفس وخاصية الارتقاء العقلى والروحى خاصية انسانية محضة .

يقول المرحوم سيد قطب : « وخاصية الارتقاء العقلى والروحى ، خاصية انسانيه بحته ، لا يشاركه فيها سائر الأحياء فى هـذه الأرض . وقـد عاصر مولد الانسان الأول اجناس وأنواع شتى من الاحياء . ولم يقع فى هـذا التاريخ الطويل أن ارتقى نوع أو جنس ـ ولا أحد أفراده ـ عقليـا او روحيا ، حتى مـع التسليم بوقـوع الارتقـاء العضـوى »(١) .

٣ ـ الوقوف بجانب المخلص لدعوة الحق :

يقـول الله تعـالى :

« واصبر نفسك مـع الذين يدعون ربهم بالغـداة والعشى يريدون وجهه ولا تعـد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هـواه وكان امره فرطا ، وقـل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر »(٢) .

لقـد رسمت هـذه الآيات الكريمـة حـدود الوقـوف بجانب المخلصين لدعوة الحق ، فهى تذكر : ان الوقوف بجانب هؤلاء المخلصين لدعوة الحق لا يقصد منه التودد اليهم فحسب ، أو الوقوف بجانبهم فى حالات اليسر ، وانمـا يعنى احتمال معاشرتهم فى الضيق والفرج ، واحتمال ما عساه أن يكون جارحا للاحساس والشعور ، ذلك أن التعبير بقوله تعالى : « **واصبر نفسك** » يفيد احتمال ما يؤذى الشـعور والاحساس ، وهـذا بلا شك يدخل فيه التودد المشارك فى السراء والضراء ، ذلك لأن هـدفهم وجـه الله ـ عز وجل ـ لا غيره ، ومرادهم

---

(١) فى ظلال القرآن ـ سيد قطب ـ م/٥ ص ٣٠٢٧ .
(٢) سورة الكهف من الآيتين رقم ٢٨ ، ٢٩ .

مراده ، لا يعرفون أهـل الباطل ولا يميلون اليه : « **الذين استجابوا لله والرسول من بعـد ما أصابهم القرح للذين أحسنوا منهم واتقـوا أجر عظيم ، الذين قال لهم الناس إن الناس قـد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل** »(١) .

وفى الوقت الذى تطالب به هـذه الآيات الكريمة رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ صاحب هـذه الدعوة بالتحمل مـع المخلصين للدعوة فانها تذكره بأمرين :

الأمر الأول : أن صاحب دعوة الحق لم يعـد انسانا ذا مستوى عادى ، فهو بعيد عن زينة الحياة الدنيا وجاهها ، وهنا يقول الله تعالى فى مخاطبة الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ « **ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا** »(٢) يقول ذلك تأكيدا فقط بالنسبة للرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ وفى الوقت نفسه يجعله قاعـدة ملزمة لكل من يتصـدى لدعوة الحق بعـد الرسول ـ صلى الله عيه وسلم ـ ..

الأمر الثانى : أن أصحاب القوة المـادية وهم فى الواقع قلوبهم غلف ، وأسلوبهم فى الحياة أسلوب المتبع لهـواه فى هـذه الحيـاة الدنيا ، فلا يرون الا المـادة أسلوبا لهم فى الحياة .

هـؤلاء يجب عـدم الميـل اليهم وطـاعتهم ، قال تعالى : « **ولا تطـع من أغفلنا قلبـه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطا**(٣) ، ذلك لأنهم بضعفهم وقلة نفوذهم يستطيعون الدخول على ضعفاء النفوس من خلال جاههم المـادى ، وصدق الله اذ يقول ناهيا :

« **ولا تركنوا إلى الذين ظلموا فتمسكم النار وما لكم من دون الله من أولياء ثم لا تنصرون ، وأقم الصلاة طرفى النهار وزلفا من الليـل**

---

(١) سورة آل عمران الآيتان رقم ١٧٢ ، ١٧٣ .
(٢) سورة الكهف من الآية رقم ٢٨ .
(٣) سورة الكهف من الآية رقم ٢٨ .

إن الحسنات يذهبن السيئات ذلك ذكرى للذاكرين ، واصبر فإن الله لا يضيع أجر المحسنين »(١) .

وهنا يكفى الداعى الى الحـق أن يعلن دائما أمر هـذه الدعوة ، ويقف مجردا من زينة الدنيا ، وبتجرده هـذا يكسبه قـوة ، كما يكسب دعوته قوة فى أنها فوق الاكراه والالزام ، **« وقـل الحـق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر »(٢) .**

٤ ــ صاحب دعوة الحق لا يغفل من يسعى الى الايمان :

لا شك بأن أولوية المودة من صاحب دعوة الحق لا تكون الا لمن يقبل على دعوته ، دون النظر اليه من ناحية الغنى أو الشرف أو الجاه أو الملك ... الخ .

ذلك لأن الايمان بدعوة الحق لا ينزل الناس منازل معينة بسبب ما لهم من متاع فى الدنيا ، وانما التفضيل يكمن فى قوة الايمان ، وضعفه ، وفى شدة الاقبال على تطبيق مبادئه والتكاسل فى هـذا التطبيق ، قال تعالى :

« يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير ، قالت الأعراب آمنا قـل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولمـا يدخل الايمان فى قلوبكم وإن تطيعوا الله ورسوله لا يلتكم من أعمالكم شيئا إن الله غفور رحيم ، إنمـا المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسـوله ثم لم يرتابوا وجاهـدوا بأموالهم وأنفسهم فى سبيل الله أولئك هم الصادقون »(٣) .

وقـال سـبحانه :

« لا يستوى القاعـدون من المؤمنين غير أولى الضرر والمجاهدون

---

(١) سورة هـود الآيات رقم ١١٣ ــ ١١٥ .
(٢) سورة الكهف من الآية رقم ٢٩ .
(٣) سورة الحجرات الآيات رقم ١٣ ــ ١٥ .

في سبيل الله بأموالهم وانفسهم فضل الله المجاهـدين بأموالهم وانفسهم على القاعـدين درجة وكلا وعـد الله الحسنى وفضل الله المجاهدين على القاعـدين أجرا عظيما ، درجات منه ومغفرة ورحمـة وكان الله غفـورا رحيمـا »(١) .

فمقياس التفضيل في الاسـلام ليس بالحصول على الجاه أو السلطة ... الخ بل في المستوى الانساني والسلوك الحسن ، ذلك لأن الايمان بالله لا يتخير الاشراف والوجهاء ، كما لا يتخير الأغنياء دون الفقراء من الناس ، وانما يتخير أصحاب القلوب المؤمنـة الرحيمة وأصحاب الاستعداد الذين يضحون بأنفسهم وباموالهم في سـبيل الايمان بالله ـ عز وجل ـ فباعوا كل مالهم لله ، قال تعالى :

« إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنـة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعـدا عليه حقا في التوراة والانجيل والقران ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به وذلك هـو الفـوز العظيم »(٢) .

٥ ـ صاحب دعوة الحق بعيد بدعوته عن الاتجاه المـادي :

ان صاحب الاتجاه المادي يتمثل هـدفه دائما في الحياة الدنيا بما فيها من أموال وبنين وقناطر مقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعـام والحرث . هـذا الجانب المادي المحسوس هـو الذي يشده ويجـذبه ، فتراه لا يحفل بالقيم ولا بالمبـادىء ، ولا بالعلاقات الطيبة مـع الآخرين ، ولا يعرف الفضل والايثار ، ولا يمتثل النصح والارشاد ، والعمل من أجل سعادة الآخرين . وانما تراه يهتم دائما في الاستجابة لملذات هـذه الحياة الدنيا واغرائها ، دون النظر الى ما يترتب على هـذه الاستجابة من ضرر بالآخرين ، هـذا الامعان في الاستجابة للدنيا جعله انسانا جامدا لا يرى في الدنيا الا المحسوس والمرئي منها ، هـذا الانسان يصح الاعراض عنه ، وعدم تذكيره بأمر

---

(١) سورة النساء الآيتان رقم ٩٥ ، ٩٦ .
(٢) سورة التوبة الآية رقم ١١١ .

الدعوة ، حتى لا يكون فى ذلك اهانة لمبادئها ؛ وتضييع للزمن والطاقه البشريه بشأنها ، قال تعالى : « **فاعرض عن من تولى عن ذكرنا ولم يرد إلا الحياة الدنيا ، ذلك مبلغهم من العلم إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بمن اهتدى** »(١) • لكن قد ياتى اعتراض على هذا الاتجاه ، لماذا وقف القران الكريم هذا الموقف تجاه الانسان المادى ؟ والاجابه :

وقف القران هذا الموقف لانه لا فائدة منه ، فقد أغلق جميع منافذ الاحساس فيه ، ولم يترك واحدا منها يمكن ان يصل الداعى من خلاله ، فهو اذن مثقل بماديات الحياة بحيث اصبحت تحجب كل ما وراءها من قيم ومثل فاضلة •

والقرآن الكريم يذكرنا بالسبب الذى من أجله يناى صاحب دعوة الحق بدعوته عن اصحاب هذا الاتجاه المادى ، فيقول سبحانه : « **وذر الذين اتخذوا دينهم لعبا ولهوا وغرتهم الحياة الدنيا** »(٢) فهذا أمر من الله — تعالى — بترك هؤلاء الذين اتخذوا دينهم لعبا ولهوا ، ذلك أنه لا يمكن للانسان أن يتخذ دينه لعبا ولهوا الا اذا تمكنت منه المادية ، وصارت موجهة له • فالاستهزاء بالدين واتخاذه لهوا ولعبا امارة واضحة على تمكين المادية فى نفس من يستهزىء أو يلهو بالدين •

فواجب اذن على كل داع الى الحق أن يتجه بدعوته لمن يرى فيه الاستجابة ولو بعد حين ، كما أنه مطالب بمنع عرض دعوته على من لا أمل فيه ، والامارة واضحة فى تعريف كل من النوعين :

ففى النوع الأول هناك اشارات واضحة لمن أعرض عن الدعوة فى بادىء أمره لسبب ما من الأسباب فى نفسه ، هذا النوع يرجى منه أن يقبل الدعوة ولو بعد فترة •

---

(١) سورة النجم الايتان رقم ٢٩ ، ٣٠ •
(٢) سورة الانعام من الآية رقم ٧٠ •

والنوع الثانى : هـو الذى ملكته هـذه الحياة الدنيا بمفاتنهـا وزينتها ، وأصبح لا يرى الا المحسوس منها ، بحيث أغلقت جميع منافذ الاحساس فيه ، فهو قـد سمع بأمر دعوة الحق ، ووعظ من خلالهـا كثيرا ، ولكنه بالرغم من ذلك لم يؤمن بها ، وآمن بالجانب المـادى المحسوس ، هـذا النوع لا يرجى منه قبول الدعوة .

٦ ــ صاحب دعوة الحـق لا يستسلم للمحن :

اذا تمكنت دعوة الحق من صاحبها ، اوجـدت منه انسانا ثابتا فى حمل رسالته ، لا يتزحزح عن مبدئه ، ولا تحركه العواصف عـن مكانه ، والبرهان الجلى لذلك أن رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ حين أمره ربه بالجهر بالدعوة لم يغفل عنها طرفة عين ، ولم يلتفت للكسب المـادى الذى عرض عليه من قبل المشركين ، وقال قولته المشهورة : « والله ياعم لو وضعوا الشمس فى يمينى والقمر فى يسارى على أن أترك هـذا الأمر ما تركته حتى يظهره الله او أهلك دونه »(١) .

هـذا المعنى ينبثق منه الصبر على الملمـات والثبات فى مواجهة العقبات ، وهـذا شأن القيادة تصبر على المصائب ، وتثبت فى مواجهة الشدائد ، صبرا مقرونا بالأمل والثقه بنصر الله .

لقـد اتحـد كفار قريش فى محاولة اسقاط دعوة الحـق ، وكانت خطتهم فى ذلك التخريب وترويج الاشاعات السيئة المغرضـة التى تحطم العلاقات الانسانية بين الرجال والنساء فى الداخـل ، والقتال يقوم به الأعـداء من الخارج . هـذا التخطيط لو تمكن من أمة ونفـذ فيها لأتى بها وزلزلت زلزالا شـديدا . لكن عناية الله ــ عز وجل ــ وحفظه للدعوة أكيد وثابت ومع ذلك وجه نداءه للنبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ قائلا : « **يا أيها النبى اتق الله ولا تطع الكافرين والمنافقين**

---

(١) انظر : الرسول وخلفاؤه ــ عبد الله عمر خياط ، موضوع الجهر بالدعـوة ، ص ٧١ الى ص ٧٦ .

إن الله كان عليما حكيما ، واتبع ما يوحى إليك من ربك إن الله كان بما تعملون خبيرا ، وتوكل على الله وكفى بالله وكيلا »(١) .

هذه الامور الثلاثة وهى :

(أ) اتقاء الله — عز وجل وخشيته .

(ب) اتباع ما أوحى الى النبى — صلى الله عليه وسلم — مما جاء فى الكتاب والسنة .

(جـ) التوكل على الله — عز وجل — وحده ، فهو كفيل بالمعاونة والمساعدة .

هذه الأمور اذا تمسك بها الداعى الى الحق ، وكذلك كل مؤمن عندما يواجه شدة او محنه من شانها ان تزحزحه وتبعده عن ايمانه بالله ، وعن رسالة الحق فان الله سينصره على عدوه مهما بلغت قوته وعدته .

بهذا اشتد المؤمنون فى ايمانهم بالحق عندما رأوا الاحزاب تحاصر المدينة : « **ولما رءا المؤمنون الاحزاب قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله وما زادهم إلا إيمانا وتسليما(٢) .**

ولقد كان لهم فى رسول الله — صلى الله عليه وسلم — الأسوة الحسنة فى ثباته على الايمان ، وفى مواجهه تكتل الاحزاب ضد الدعوة وكانت نتيجة هذا التبات على الايمان بالله — عز وجل — النصر المبين دون قتال ، وان كانوا قد تحملوا فى ذلك أضرار الجوع ، والقلق النفسى من الحصار ، قال تعالى :

« ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا وكفى الله المؤمنين القتال وكان الله قويا عزيزا ، وأنزل الذين ظاهروهم من أهل الكتاب من صياصيهم وقذف فى قلوبهم الرعب فريقا تقتلون وتأسرون فريقا ،

---

(١) سورة الأحزاب الآيات رقم ١ — ٣ .
(٢) سورة الأحزاب الآية رقم ٢٢ .

وأورثكم أرضهم وديارهم وأموالهم وأرضا لم تطـؤها وكان الله على كل شيء قـديرا »(١) .

بذلك خرج المسلمون من هـذه المحنة القاسية أشد ما يكونون ، واصبح استعدادهم للمواجهة والتحـديات الخارجية اوسع مدى وأكثر خبرة ، فقـد تعلموا من حفر الخندق الذى أشرف عليه سلمان الفارسى حول المدينة بامر من رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ كيف يديرون ويتربصون بالعـدو ، ولو أنهم اعتمدوا على سند من حلفاء ، او سمعوا قـول بعض المنافقين الذين يصـيحون بالتشـكيك فى وعـد الله : **« وإذ يقول المنافقون والذين فى قلوبهم مرض ما وعـدنا الله ورسوله إلا غرورا »(٢)** ، أو سمعوا البعض الآخر الذى ينصح بالتراجع والتخلى عن المدينة : **« وإذ قالت طائفة منهم يا أهل يثرب لا مقام لكم فارجعوا ويستئذن فريق منهم النبى يقولون إن بيوتنا عورة وما هى بعورة إن يريدون إلا فرارا »(٣)** ، لكانت الهزيمة واقعة وما تم النصر ، وما قامت لهم بعـد ذلك دولة .

لكن بذلك الايمان حفظ الله دعـوة الحـق ، وحفظ امتها ، ولن تمـوت ابدا .

٧ ـ دعوة الحق باقية الى قيام الساعة :

دعوة الحق باقية وخالدة ، فهى لا تفنى ولا تزول بفناء الداعى اليها وزواله ، وانما هى باقية بمبادئها وتوجيهاتها ، ومن التوجيهات التى وجه بها القرآن الكريم الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ نجـد من بينهـا :

أن سبيل الدعوة هـو الحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالتى هى أحسن بلا اكراه ولا الزام ، وفى توفير الحرية الفردية لقبولها أو رفضها ، قال تعالى :

---

(١) سورة الاحزاب الآيات رقم ٢٥ ـ ٢٧ .
(٢) سورة الأحزاب الآية رقم ١٢ .
(٣) سورة الأحزاب الآية رقم ١٣ .

« ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى أحسن إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين »(١) ، « لا إكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغى »(٢) .

كما نجد من بينها أن دعوة الحق لم تكن سلعة او حرفه ، ولا ينبغى أن تكون كذلك : « قل ما سألتكم من أجر فهو لكم إن أجرى إلا على الله وهو على كل شىء شهيد »(٣) ، « أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده قل لا أسألكم عليه أجر إن هو إلا ذكرى للعالمين »(٤) .

ونجد حدت أن نقد الحق من خصومه لا يستوجب قتال هؤلاء الخصوم : « وكذب به قومك وهو الحق قل لست عليكم بوكيل ، لكل نبإ مستقر وسوف تعلمون ، وإذا رأيت الذين يخوضون فى آياتنا فأعرض عنهم حتى يخوضوا فى حديث غيره »(٥) .

ونجد كذلك أيضا وجوب ابعاد دعوة الحق عن شبهة الاستغلال : « يا أيها الذين آمنوا إذا ضربتم فى سبيل الله فتبينوا ولا تقولوا لمن ألقى إليكم السلام لست مؤمنا تبتغون عرض الحياة الدنيا فعند الله مغانم كثيرة كذلك كنتم من قبل فمن الله عليكم فتبينوا إن الله كان بما تعملون خبيرا »(٦) .

ثم مع هذا كله نجد أن الداعى الى الحق يجب أن يعلن خطأه فى أسلوب الدعوة ان أخطأ على رءوس الاشهاد : « ما كان للنبى والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولى قربى من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم »(٧) .

---

(١) سورة النحل الآية رقم ١٢٥ .
(٢) سورة البقرة من الآية رقم ٢٥٦ .
(٣) سورة سبأ الآية رقم ٤٧ .
(٤) سورة الأنعام الآية رقم ٩٠ .
(٥) سورة الأنعام الآيات رقم ٦٦ — ٦٨ .
(٦) سورة النساء الآية رقم ٩٤ .
(٧) سورة التوبة الآية رقم ١١٣ .

بهـذه المبادىء وبغيرها ، صارت دعوة الحـق باقية وخالدة ، لا تفنى ولا تزول بفناء وزوال القائم بامرها ، وذلك أن الداعى لهـا والقائم بأمرها — انسان — ، ليست لـه معجزة الخلود يتميز بهـا عن طبيعة الانسان فى مصيره الى الموت بعـد الحياة ، وانما تميزه عن أى انسان آخر سواه فى أنه تتوفر لـه صفات الداعى من :

قـوة الايمـان .
وقـوة الصبر والتحمل .
وحسن القـدوة للمبادىء التى يدعو اليها .

وخلوده خلود ذكرى ، وحياته بعـد موته هى حياة نموذج ومثل ، وليست حياة بدن يأكل ويشرب ويستمر على ذلك . بذلك صار الايمان بدعـوة الحق خالصا غير مشوب بمصلحة ترتبط بشخص الداعى : **«وما محمد إلا رسول قـد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتـل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا وسيجزى الله الشاكرين ، وما كان لنفس أن تموت إلا بإذن الله كتابا مؤجـلا من يرد ثواب الدنيا نؤته منهـا ومن يرد ثواب الآخرة نؤته منهـا وسنجزى الشاكرين ، وكأين من نبى قاتل معه ربيون كثير فما وهنوا لمـا أصابهم فى سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا والله يحب الصابرين ، وما كان قولهم إلا أن قالوا ربنا اغفـر لنـا ذنوبنا وإسرافنا فى أمرنا وثبت أقـدامنا وانصرنا على القوم الكافرين »**(١) .

فهـذه الآيات توضح بعض المبادىء التى ينبغى على المؤمنين أن يلتزموا بها فى مجتمعهم ، فهى توضح أن الرسول — صلى الله عليه وسلم — قـد خلت من قبله رسل ، فاذا كان هـذا شأنه فلا ينبغى أن يتغير مجرى الحياة بعـده .

يقول الأستاذ الشيخ محمد عبده : « فى هـذه الآية ارشاد لنـا ألا نعتمد فى معرفة الحـق والخير على وجود المعلم ، بحيث نتركها بعـد

---

(١) سورة آل عمران الآيات رقم ١٤٤ — ١٤٧ .

ذهابه أو موته ، وانما نعتمد على معرفتهما والتحقق بهما والسير على منهاجهما فى حال وجود المعلم وبعـــده »(١) .

كما توضح الآيات أن تحصيل الدنيـــا ومتعها ليس الهـــدف من الرسالة ، والمحافظة عليها ، وانما الرسالة نفسها هى الهـــدف من الحياة الدنيا كلها . وان المتصلين بربهم فى ايمانهم لا تهون عزائمهم ، ولا تضعف نفوسهم ، ولا يستسلمون أبدا فى مواقف الشدة واليأس ، وهذا يظهر من خلال دعائهم ، فلقد كان دعاؤهم أن يغفر الله لهم ما مضى من الذنوب وأن يثبت أقـــدامهم فى سبيل الايمـــان ، وأن يحقق لهم النصر على الأعـــداء ، ولم يكن دعاؤهم أن يعطيهم الله الدنيا ومتعها ، لأن عطاء الله فى الدنيا غير ذى صلة بالايمان والكفر «**كلا نمد هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك وما كان عطاء ربك محظورا**»(٢) ، « **ولولا أن يكون الناس أمة واحـــدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة ومعارج عليها يظهرون ، ولبيوتهم أبوابا وسررا عليها يتكئون ، وزخرفا وإن كل ذلك لمـــا متاع الحياة الدنيا والآخرة عند ربك للمتقين**»(٣) .

هـــذا وبالله التوفيق ..

د. فوزى عبد العظيم رسلان قمر

---

(١) تفسير المنار ـــ رشيد رضا ـــ جـ ٤ ص ١٣٣ ، ١٣٤ .
(٢) سورة الاسراء الآية رقم ٢٠ .
(٣) سورة الزخرف الآيات رقم ٣٣ ـــ ٣٥ .

[illegible]

[illegible]

[illegible]